مراحل النقد السعودي واتجاهاته

الباحثة/ هند عبد الله صالح المشيقح
قسم اللغة العربية وآدابها- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

الإرهاصات التاريخية:

كان لانفتاح العقل العربي على الآخر الغربي أثر ممتد إلى كافة البلاد العربية، مع ازدهار ما سمّي بعصر النهضة العربية، تحديدًا في مصر بعد حملة نابليون[1] عليها، ودخول الطباعة وازدياد حركة الترجمة والنشر. فكان من أهم آثار هذه النهضة إعادة إحياء التراث، ومناقشته ومساءلته على ضوء المفاهيم والمنهجيات الجديدة، ورجوع شريحة كبيرة من النقاد إلى الأصول العربية بحثًا عن موقع لها في خارطة الثقافات الحديثة، يقول محمد مندور: "وفي الحق إن في الكتب العربية القديمة كنوزا نستطيع ، إذا عدنا إليها وتناولناها بعقولنا المثقفة ثقافة أوروبية حديثة أن نستخرج منها الكثير من الحقائق التي لا تزال قائمة حتى اليوم وإن كنا حريصين على أن لا يستفاد من دعوتنا إلى تناول التراث القديم بعقولنا الحديثة أي إسراف بإقحام ما لم يخطر بعقول أولئك المؤلفين القدماء من نظريات أو آراء، كما أننا حريصون على أن لا نجهل أو نتجاهل الفروق الأساسية الموجودة بين الأدب العربي وغيره من الآداب الأوروبية بما يستتبعه ذلك من تفاوت كبير في مناهج النقد وموضوعاته ووسائله ."[2] إذًا فإن هناك دعوة إلى العودة إلى القديم وتناوله بالعقلية الجديدة المستحدثة، وإن كانت نتائج هذه العودة مختلفة ومتباينة بين المحافظة وبين الرفض والمقاطعة، وما بينهما من أساليب التقويم وطرق التأويل والمراجعة والقراءة النقدية.

ومن أبرز الكتاب والنقاد والمفكرين العرب الذين قاموا بدراسات في مجال التراث العربي: طه حسين، عباس محمود العقّاد، أمين الخولي، أحمد أمين، محمد مندور، زكي

---

١) الحملة الفرنسية على مصر هي حملة عسكرية قام بها الجنرال نابليون بونابرت على الولايات العثمانية مصر والشام (١٧٩٨-١٨٠١م) بهدف الدفاع عن المصالح الفرنسية، منع إنجلترا من القدرة على الوصول للهند. ومن الناحية العلمية، أدت الحملة إلى اكتشاف حجر رشيد، واضعة بذلك حجر الأساس لعلم المصريات. بالرغم من تحقيق بعض الانتصارات، ونجاح الحملة في البداية، إلا أن نابليون اضطر إلى الانسحاب بجيشه لعدة أسباب منها حدوث اضطرابات سياسية في فرنسا، النزاعات في أوروبا، وكذلك الهزيمة في معركة أبي قير البحرية. المصدر: الحملة الفرنسية على مصر - ويكيبيديا (org.wikipedia)

٢) محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط: ١٩٩٦م : -ب- .

نجيب محمود، عبد السلام محمد هارون، الشقيقان أحمد ومحمود محمد شاكر، شوقي ضيف، إحسان عباس، حسين مروة، طه عبد الرحمن، محمد عابد الجابري، أدونيس، طيب تيزيني، محمد أركون، حسن حنفي، جابر عصفور، عبد العزيز حمودة، نصر حامد أبوزيد وغيرهم كثير لا يمكن حصر مؤلفاتهم وآرائهم المتباينة. وقد كان لهذه الأسماء الصدى الفكري الذي تركته بين أوساط الكتاب السعوديين، مثل ما تركت من صدى في الساحة العربية بعامة، فكان فكرهم منطلقًا خصبًا لكثير من الكتاب لطرح آرائهم المختلفة عن التراث، واتخاذ موقف منه.

والتأثير الحقيقي الذي كان يشكّل منعطفًا مهمًّا بالنسبة للمجتمع السعودي هو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١]، حيث لم يقتصر هذا الأثر على الجانب الديني والعقدي فحسب، وإنما امتدّ إلى كافة المجالات الإنسانية ومن أبرزها الأدب متمثّلاً في الشعر تحديدًا. ومن جهة أخرى يعترف عدد من المؤلفين العرب بتأثير هذه الحركة الإصلاحية على الساحة العربية بعامّة؛ يقول أحد المؤلفين عن أثرها: " لقد كانت بذلك حركة تنويرية إصلاحية عملت على تدشين البدايات الأولى لليقظة العربية الإسلامية الحديثة، في حين لم تكن حملة نابليون إلا بمثابة باعث من بواعث النهوض، ... ، في حين مثلت الدعوة الوهابية الجسر الواصل بين الماضي والحاضر، بين الإنسان العربي وعقيدته "[٢].

ومن هنا يتبين لمن يتتبع حركة النقد في المملكة العربية السعودية أن للظروف البيئية والاجتماعية والثقافية أثر كبير في تحديد طبيعة المراحل التي مر بها، ففي البدايات تأخر نضج النقد في المملكة عن سائر البلاد العربية كمصر والشام، حيث أُرجع سبب هذا التأخر إلى التأثير المباشر للاستعمار على تلك البلدان؛ مما جعلهم يهرعون إلى تراثهم لمواجهة هذه الحضارة الجديدة، ويدخلون في صراع معها ما بين شد وجذب، ولكن هذا التأثير المباشر للاستعمار لم يطل المملكة العربية السعودية، وبالأخص بعد توحّد أجزائها واندماج مناطقها في عهد الملك عبدالعزيز[٣]، يقول الهويمل: "هذه الظروف المباينة عجلت بنضج الحركة النقدية في مصر وبطأت بها في الجزيرة العربية، فكان أثر الحركة النقدية في الحجاز مقتصرا في بداياته على التلقي والسماع والاحتذاء"[٤].

---

١) ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب عام ١١١٥هـ/١٧٠٣م شمال الرياض، وتوفي عام ١٢٠٦هـ. من مؤلفاته: "كتاب التوحيد"، "كشف الشبهات"، "مختصر السيرة النبوية"، "مختصر زاد المعاد".

٢) عبد العزيز إنميرات، مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١: ٢٠١٣م: ١٢٣.

٣) انظر: الهويمل، "مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية"، مجلة الفيصل، ع ٢٣٣– مارس/أبريل ١٩٩٦م: ٢٦.

٤) السابق: ٢٦.

سنحاول فيما يلي تسليط الضوء على أهم المراحل التي مرّ بها النقد في المملكة بشكل عام، وكيف كانت علاقته بالتراث النقدي والتجديد؟ وقبل ذلك نستعرض أبرز الجهود التي أرّخت للحركة النقدية في المملكة التي تتمثّل في عدد من الدراسات المهمة التي ساهمت في تدوين كل ما يتعلق بالنقد في المملكة ورصد أهم القضايا، وتوثيق أبرز أسماء النقاد وجهودهم، وهي عبارة عن كتب ضخمة، كان اطلاع أصحابها على الصحافة السعودية آنذاك، وعلى المعارك الأدبية وتداعياتها، ومعاصرتهم للنقاد السعوديين، أكبر الأثر في تعريفهم بطبيعتها، فسخّروا كل ذلك لنظم خيوط تاريخ الأدب والنقد السعودي، وتوثيقه.

جهود التأريخ للحركة النقدية في المملكة:

ومن أوائل هذه الجهود التأريخية؛ هو ما كتبه الناقد والمؤرّخ عبد الله عبد الجبار[1] في كتابه (التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية)[2] عن بدايات النهضة الأدبية في المملكة، فقسم الكتاب إلى قسمين رئيسين، كان الأول منهما دراسة موجزة عن جغرافية قلب الجزيرة العربية وتاريخها الحديث تمهيدًا للقسم الثاني الذي فصل فيه التيارات الأدبية في قلب الجزيرة في عدة أبواب؛ أولها: ميلاد الأدب الحديث في قلب الجزيرة، والثاني: العوامل المؤثرة في الأدب كالصحافة والطباعة والإذاعة، والتعليم والمكتبات، والمنتديات الأدبية، أما الثالث فقد ناقش فيه أثر البيئة في شعر الجزيرة، ثم الرمزية الخاصة في أدب الجزيرة. وفي الباب الخامس فصل في التيارات الأدبية وأثرها في الشعر؛ وهي: التيار الكلاسيكي، والتيار الرومانسي، والتيار الواقعي الذي أدرج تحته كلّاً من التيار الاجتماعي والثوري والوطني والقومي.

---

١) عبد الله عبد الجبار (١٩٢٠م – ٢٠١١م)، أديب وناقد ومسرحي سعودي، يُعد رائد النقد الحديث في الجزيرة العربية، وأحد العشرة الأوائل الذين حملوا الشهادة الجامعية من الطلبة السعوديين، وهو الأمين العام السابق لرابطة الأدب الحديث في مصر أثناء إقامته فيها في الأربعينات الميلادية، وقد لُقّب بشيخ النقاد. المصدر: عبد الله عبد الجبار – ويكيبيديا (org.wikipedia)

٢) محاضرات ألقاها الأستاذ عبدالله عبد الجبار على طلاب قسم الدراسات الأدبية واللغوية، طبع الكتاب عام١٩٥٩م في معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية. يقع الكتاب في ٣٦٠. وقد كانت هذه الدراسة الأولى من نوعها في تاريخ دراسة أدب الجزيرة.

وما احتواه الكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٥٩م، ثم ضم بعضها إلى بعض في هذا الكتاب، ورغم أن الكتاب قد أُلّف حول هذا الموضوع الذي لم يُطرق من قبل، ولكنه خرج بالشكل المقبول، وضمّ عددا من الحقائق، وألقى الضوء على كثير من القضايا الأدبية الغامضة. انظر: بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية: ٥٥٢.

وكذلك المؤلّف بكري شيخ أمين[1] عَبْر كتابه (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية)[2] تحدث عن البيئة السياسية والدينية المتمثلة في أدوار الحكم السعودي، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتمثّلات الدعوة في الأدب وبالأخص الشعر. وبعد ذكره للمؤثرات السياسية والتاريخية والدينية، وهي مؤثرات غير مباشرة تطرق للمؤثرات المباشرة في النهضة الأدبية في المملكة؛ وهي تتمثل في كلٍّ من: الصحافة والإذاعة، والتعليم، والمكتبات والمطابع. ثم تطرق في باب آخر إلى الفنون الشعرية التقليدية وقسمها إلى ثلاثة أقسام؛ فن الغزل، وفن المديح، وفن الرثاء. ثم تطرّق إلى موضوعات الأدب المستحدثة المتمثلة في الأدب الاجتماعي بقضاياه والأدب السياسي باتجاهاته المختلفة. وفي الأبواب التالية ناقش الأداء الفني في الشعر السعودي، ثم الفنون الأدبية المستحدثة من قصة ومقالة. أما الباب الأخير فقد أورد فيه البحوث والدراسات المنهجية موردًا الدراسات الأدبية والدراسات النقدية والتحقيق ضمن التأليف الأدبي، وفصل الحديث في التأليف التاريخي الأدبي. جمع في هذا الكتاب عددا من الدراسات الأدبية والتاريخية في المملكة، وكان يعرض بإيجاز لمحتوى كل كتاب، وكيف قسم المؤلف كتابه، ثم ينتقد منهج المؤلف في التأليف ويذكر المآخذ وأوجه النقص عنده، يسوقها بلغة نقدية رصينة.

وكتاب محمد عبدالرحمن الشامخ[3] (النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية)[4]، أفرد فيه فصلًا عن المقالة النقدية مخصصا زمنها في الربع الثاني من القرن العشرين[1].

---

١) بكري محمد شيخ أمين (١٩٣٠م – ٢٠١٩م) سوري من مواليد مدينة حلب، درّس في العديد من الجامعات العربية، مثل: جامعة القرويين بفاس، وكلية اللغة العربية والشريعة بالرياض، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بحلب، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز في جدة. كما أشرف على العشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه، وقد عني بكري شيخ أمين بتدريس: المواد الشرعية (القرآن والحديث)، علوم اللغة العربية والحضارة الإسلامية، تاريخ الأدب العربي في مختلف العصور، صناعة الكتابة، علوم اللغة العربية، أصول التحقيق العلمي للمخطوطات وأساليبه، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فن التحليل الأدبي والجمالي. وله العديد من المؤلفات مثل: علم المعاني، علم العروض، علم البديع، كتاب مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، التعبير الفني في القرآن الكريم، أدب الحديث النبوي، صراعات المتنبي، قراءات نقدية في كتب سعودية، كتاب النحو بجزأيه الأول والثاني. المصدر: المجلة العربية :: ثقافات وتقارير (com.arabicmagazine)

٢) نشر الكتاب عام ١٩٧٢م، وأعيدت طباعته أكثر من عشرين مرة. يذكر بكري شيخ أمين رحمه الله، في محاضرة له في إحدى ليالي أسبوعية الدكتور عبدالمحسن القحطاني؛ حكاية كتابه الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، وثناء الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، قائلاً: اختارني عميد كلية الآداب بجامعة دمشق الراحل الشاعر شفيق جابري ضمن الطلاب الذي يعملون مع المستشرق الفرنسي رجيب في رسالة التخرج، موضحاً أن المشرف أجبره على أن يكتب عن (الأدب السعودي)، ويعلل ذلك بأن الأدب المصري عليه عشرات الدراسات وكذلك السوري واللبناني، إلا الأدب الذي خرجت منه اللغة العربية، فجئت إلى المملكة وبدأت أشتري الجرائد وأقص، وأشتري الكتب. احتجت إلى مجلات (المنهل)، ولم أستطع الوصول إلى الأعداد، فذهبت إلى الجامعة الأمريكية وقلت لهم أنا أحتاج إلى (مجلة المنهل) للشيخ عبدالقدوس الأنصاري، وهي موجودة في مكتبة أرامكو، فأرسلوا إلى أرامكو برقية وصوروا لي المجلة من أولها إلى آخرها، ليبدأ الترحال فترة من الزمن، من الشرقية إلى الغربية وإلى تبوك وإلى الجنوب وإلى الرياض، أدخل في كل بيت وأعاشر كل أديب وأكتب حتى بلغت عدد البطاقات ١٢٠٠٠٠ بطاقة. المصدر: السابق.

٣) محمد عبد الرحمن الشامخ (١٩٣٣-٢٠١٧م)، "ولد في عنيزة وتعلّم فيها، ثم انتقل إلى مكة وواصل فيها تعليمه الثانوي، ثم ارتحل إلى القاهرة ليحصل من هناك على الشهادة الجامعية من كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم ابتُعث من كلية الآداب بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) إلى بريطانيا للدراسات العليا في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ، وحصل على الدكتوراه عام١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، وكان عنوان رسالته [النثر الأدبي في الحجاز بين عامي ١٩٠٨-١٩٤١م ، مع نبذة عن تاريخ صحافة هذه الفترة] ثم ترجم رسالته إلى اللغة العربية، وظهرت في ثلاثة أجزاء : ١ – نشأة الصحافة في الحجاز ٢– التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ٣– النثر الأدبي في المملكة، عمل أستاذاً في جامعة الملك سعود ، ورئيساً لقسم اللغة العربية". https://www.al-jazirah.com/2017/20170913/cu1.htm

٤) نشرت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٧٥م، في ١٥٥صفحة.وأعيد إصداره في الطبعة الثالثة عام ١٩٨٨م،عن دار العلوم للطباعة والنشر،في ما يقارب٢٠٠ صفحة.=

كما قام الدكتور محمد الشنطي[٢] بجهد كبير في البحث حول النقد في المملكة العربية السعودية، تقصى فيه كثيرا من النقاد منذ بواكير الحركة النقدية بالإضافة إلى مجموعة من الأسماء التي عاصرها، وذلك في كتابه (النقد الأدبي المعاصر في المملكة العربية السعودية، ملامحه واتجاهاته وقضاياه)[٣] الذي يقع في مجلّدين قسمه إلى ثلاثة أبواب أساسية؛ أولها عنوانه الريادة والروّاد تناول فيه بواكير الحركة النقدية وقضاياها وأبرز نقادها. أما ثانيها فبعنوان: المشهد النقدي–ملامحه العامة واتجاهاته؛ قسّم فيه النقاد إلى اتجاهات نقدية مختلفة وجد أنها كانت السائدة في المشهد الثقافي بدأ من الرؤية النقدية في إطارها الأكاديمي، ثم ما سمّاه بالاتجاه الواقعي، ثم الرؤية النقدية الألسنية والتحول منها إلى النقد الثقافي، ثم الاتجاه إلى التعريف بالتيارات النقدية الحديثة، والنقد النسائي، ثم أفرد فصلين عن النقاد المحافظين ونقاد الوسط والنقاد الجدد، حيث وضع نقاد الوسط بين الرؤية الإحيائية والرؤية التجديدية. أما الباب الثالث والأخير فكان بعنوان: قضايا الحركة النقدية وأسئلتها؛ ومنها الحساسية الجديدة (الحداثة)، وقضية البنيوية، وقصيدة النثر، وقضية الخصوصية، وكذلك قضايا التراث واللغة والمرأة المبدعة وما تفرع عنها من مسائل تتعلق بالمعنى والغموض والتجريب، ثم قضية الإبداع، وقضية الأدب الإسلامي، ونقد القصة القصيرة.

ومن الجهود المتأخرة أيضًا كتاب الدكتور سلطان سعد القحطاني[٤] (النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية–نشأته واتجاهاته)[٥]. يتكون الكتاب من بابين؛ مهّد في الأول لما قبل النقد الأدبي الحديث ثم بداية ظهور الفكر النقدي، وفي الباب الثاني بدأ بالتركيز على الصحافة في العهد السعودي وعلاقتها بالنقد والمدارس النقدية، ثم قسّم التيارات النقدية في المملكة إلى أربعة تيارات؛ هي: تيار التجديد المحافظ وقد ذكر أنه تيار منبثق من المدرسة المدنية الجديدة التي ظهرت في المدينة المنورة تحديدًاعلى يدي عبدالقدوس الأنصاري وعبيد مدني في محاولة للموازنة بين القديم والجديد مع التمسك بالتراث القديم، ومنهج هذه المدرسة لغوي تطبيقي إحصائي. وصف أتباع هذه المدرسة

=١) انظر: الشامخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية من ١٩٠٠–١٩٤٥م، الرياض، دار العلوم، ط١: ١٩٧٥م: ٩٥.

٢) محمد صالح الشنطي (١٩٤٥م)، أردني من مواليد فلسطين، وهو ناقد وأستاذ أكاديمي متخصص في النقد الأدبي الحديث، له عدة مؤلفات أهمها: متابعات أدبية، ورحلة في أفاق الكلمة، والقصة السعودية القصيرة، والأدب العربي القديم في مجلدين، وفي الأدب الحديث، وفي الأدب العربي السعودي، وفي الأدب الإسلامي، وفي أدب الأطفال، والتجربة الشعرية في الأدب العربي السعودي المعاصر يقع في مجلدين. المصدر: محمد صالح الشنطي • الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة (ws.shamela) .

٣) يقع الكتاب في جزئين، بأكثر من ١١١٤ صفحة، صدرت طبعته الأولى من دار الأندلس للنشر والتوزيع في حائل عام ٢٠٠١م.

٤) سلطان سعد القحطاني، ناقد وأكاديمي سعودي، أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، وله كتاب بعنوان: (التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي).

٥) يقع الكتاب في ٢١٣ صفحة، من مطبوعات نادي الطائف الأدبي عام ٢٠٠٣م.

بالكثرة في مقابل المدرسة المضادة لها، ولكن ذلك لا يعني أن غالبية من امتهن النقد من التقليديين، ولكنه يعني أن الغالبية لم تكن تحسن التعامل مع الجديد. والتيار الثاني هو التيار الجديد، ينسبه إلى محمد حسن عواد الذي يعدّه مدرسة حديثة تتجاوز في كثير من الأحيان حدود النص إلى ما وراء النص، ويعتقد أن ذلك يعود إلى سعة ثقافة رائد هذه المدرسة التي تجرأت على النص العربي القديم وحاولت إزالته من الوجود، ويرمي من وراء نقده للقديم وأصحاب البلاغة الجامدة إلى أن يكون الأدب وليد عصره، وليس كهلا تجاوزته السنون. وقد تأثر هذا التيار بمناهج النقد الحديث كعلم النفس والفلسفة والميثولوجيا، كما يُعدّ امتدادًا لمدرسة الديوان. ثم ناقش القحطاني التيار الثالث؛ وهو التيار النظري ولم يكن معتمدًا على النظرية النقدية الحديثة، بشكل كامل، لكنه أقرب إلى الإصلاح بين الطرفين بتبيان مهمة النقد في الحياة، وهي تقويم العمل الأدبي بعيدًا عن شخصية كاتبه، حيث يقوم هذا التيار بدور المعلم والمرشد إلى سبل النقد الحديث وأخذ الأمور النقدية بميزان العقل أكثر من ميزان العاطفة، وقد عدّه القحطاني تيّارًا وسطيًّا يرى النقد من منظور البناء وليس من منظور الهدم. وأول من نادى بهذا التيار إبراهيم فلالي، بالإضافة إلى من كتب حول هذا الموضوع ومنهم؛ محمد علي مغربي، وحسن القرشي. والتيار الرابع هو التيار الحداثي الذي جاء عن طريق مجموعة الحداثيين الذين وفدوا للعمل في المدارس والجامعات والصحافة، إضافة إلى من أتيحت لهم فرص الابتعاث إلى أوروبا وأمريكا للدراسات العليا في جامعاتها، وفريق آخر لم يذهب هناك، لكنه تأثر بالترجمات ورواج المذاهب الحداثية، من خلال القراءة والاحتكاك بالوسط الحداثي. وقوبلت الحداثة بالرفض الشديد باعتبارها بدعة ضد القديم بأصالته المتعارف عليها، ويفترض القحطاني أن من أولويات الحداثة (الغموض) في الإبداع الفني وفي النقد؛ لذا فقد زاد النقد الحداثي النص غموضًا على غموضه في الإبداع، وعدّ الغموض من أسباب عدم قبول المتلقي الأوروبي والعربي النص الحداثي، ومن أهم رواد هذا التيار عبدالله الغذامي، وسعيد السريحي.[1]

بالإضافة إلى الكتب المذكورة سابقًا فقد نُشرت عدة دراسات موسوعية متسعة حول الأدب والأدباء والكتاب في المملكة، مثل:(موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين)[2]

١) انظر السابق: ١٦٧-٢١٠.

٢) أحمد سعيد بن سليم، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عامًا ١٣٥٠هـ-١٤١٠هـ، من إصدارات نادي المدينة المنورة الثقافي، القاهرة، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط١: ١٩٩٢م.

من إعداد: أحمد سعيد بن سلم، و(الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد)[1] لإبراهيم بن فوزان الفوزان؛ خصص فيه الباب الثالث لعرض الأدب الحجازي وتقويمه من بداية الحكم السعودي على هذا الإقليم عام ١٣٤٢هـ حتى أوائل الثمانينات من الهجرة. يقول: "وقد سميت هذه الفترة مرحلة التقليد التجديدية ، لأن معظم أدباء هذه الفترة جمعوا بين الاتباعية والابتداعية في آثارهم ، نتيجة لتلقى أغلبهم ثقافتهم المباشرة من أدباء مرحلة التقليد ، إلى جانب حبهم وتقديمهم لمصادر التراث العربى على غيره فى أول هذه الفترة ، مما جعلهم يحافظون على أهم المكونات الشكلية فى الشعر خاصة والتمسك بالعربية في كتاباتهم عامة ، كما أن معطيات العصر الثقافية التي جاءت تلبية لحاجة التطور وإيمان الأدباء بالاستفادة من تجارب الأمم ، دفعتهم إلى التطوير في عرض أشكال الفنون القديمة لديهم ، وإدخال بعض الفنون الجديدة على أدب هذه الإقليم من قصة ومسرحية وغيرها"[2]. بالإضافة إلى (موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث)[3] التي خصصت المجلد الثامن للدراسات النقدية والنقد الأدبي؛ وهو من إعداد: عزت عبدالمجيد خطاب.

وفي سياق الدراسات التأريخية للنقد في المملكة، ظهر عدد من المقالات والأبحاث التي وثّقت فترات تاريخية محددة في النقد السعودي؛ مثل: مقالة عمر الطيب الساسي؛ تحت عنوان: (الأحكام النقدية عند جيل الرواد الأوائل في الأدب العربي السعودي)[4]؛ وضّح فيها نشأة الممارسة النقدية وتطورها في الأدب العربي السعودي على أيدي الجيل الأول من الرواد، وذكر طبيعة تلك الأحكام النقدية الصادرة منهم، كما أرّخ للمعارك النقدية التي قامت في الصحافة آنذاك بين الأدباء والنقاد. ومن المقالات أيضًا مقالة لحسن الهويمل، تحت عنوان: (مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية)[5]

١) إبراهيم الفوزان، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، ج١، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١: ١٩٨١م.
٢) السابق: : ١٩.
٣) عزت عبدالمجيد خطاب، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، المجلد الثامن، الدراسات والنقد الأدبي، الرياض، المفردات للنشر والتوزيع والدراسات، ط١: ٢٠٠١م.
٤) نُشرت المقالة في مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ١، من ص١٧٣-١٨٩، عام ١٩٨٨م.
٥) نُشرت المقالة على شكل حلقات متسلسلة، في مجلة الفيصل. (مرجع سابق)

ذكرنا فيما سبق نبذة مختصرة عن أبرز الجهود التي ساهمت في التأريخ للحركة النقدية في المملكة، لم تُذكر على سبيل الحصر وإنما للاستئناس بها، والاعتراف بدورها في توثيق تاريخ النقد المحلي. علمًا أن هنالك دراسات أخرى تناولت النقد من زوايا مختلفة يتعذّر حصرها؛ كالدراسات التي تناولت النقد في الصحافة الأدبية[1]، وغيرها.

خطاب البدايات:

كان الخطاب النقدي السعودي في بداياته يفتقر إلى الموضوعية والرصانة، بل إن الاهتمام بالنقد لم يكن مضارعًا لما سواه من المجالات؛ لأن التركيز كان منصبًّا على دراسة علوم الدين كالفقه والحديث وأصول الدين وغيرها، بالإضافة إلى علوم النحو واللغة. أما النقد الأدبي فلم يحظ بنفس ذلك القدر من الدراسة والبحث، فلا نجد من الدراسات النقدية والكتب المنشورة إلا القليل، ويرجع السبب في رأي بكري شيخ أمين إلى مفهوم النقد في البلد السعودي؛ فهو يعتقد أن الأدباء اعتادوا أن تمجد أعمالهم، ودرجوا على أن تكون غاية النقد مديحا وإطراءً لا ذمًّا أو قدحًا، يقول أيضًا: "كما أن النقاد فهموا أن النقد إظهار المساوئ ، والتنقيب عن المثالب ، وشهر السلاح في وجه المنتقد . وكلا الفريقين غير مصيب."[2]. وأجد في رأيه نوعًا من المنطقية؛ لأننا نلاحظ أثر تلك النزعة العاطفية ماثلة في المؤلّفات الأولى في النقد كالتي نجدها في (خواطر مصرّحة) لمحمد حسن العوّاد، و(المرصاد) لإبراهيم الفلالي وغيرهما. وقد شاركه الهويمل نفس الرأي عندما أشار إلى الظاهرة النقدية المهيمنة في بواكير النقد في المملكة يقول: " ما يمكن أن نعده ظاهرة نقدية اعتماد الناقد على التقويم والتوجيه وكأنه معلّم يشير إلى الصواب وينبه على الخطأ، ومن ثم لم يكن همّ النقاد التفسير والتحليل والتأويل، كما نراه الآن وبخاصة عند النصوصيين، ولربما كان هذا من رواسب النقد العربي القديم"[3]، إذًا فهذه النظرة هي التي غيّبت المفهوم الحقيقي للنقد الأدبي في أذهان كثير من المثقفين مما أدى إلى قصور في الإنتاج الفكري والثقافي والنقدي، وهو أمر يمكن أن نلتمسه في المؤلفات التي نشرت في تلك الفترة من حيث الكم ومن حيث النوع أو الكيف.

---

١) مثل: (الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية) لغازي زين عوض الله، و(أثر الصحافة السعودية في الحركة الأدبية) لفاطمة عبدالمقصود النجار، و(المعارك الأدبية والنقدية في الصحافة السعودية من ١٣٥١هـ إلى ١٤٠٠هـ: مكونات الخطاب وبنيته الداخلية) رسالة دكتوراه لفهد محمد الشريف، و(تأثير الواقع الاجتماعي في النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية) رسالة دكتوراه لحسين بافقيه، وغير ذلك.

٢) بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥: ٢٠٠٦م: ٥٦٩.

٣) الهويمل، "مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية" : ٢٧.

ومن أهم تلك العوامل تأثير مصر والمعارك الأدبية فيها، والأدب المهجري على المثقفين السعوديين. وقد ألمح الهويمل مؤكّدًا تأثير النقد المصري في النقد السعودي – على حد تعبيره– إلى بعض وجوه هذا التأثر، يقول:" فمن حيث الأسلوب وطريقة الأداء نجد أسلوب طه حسين وسخريته المهذبة بادية في أسلوب عزيز ضياء وعبدالفتاح أبي مدين، ونجد صلف العقاد وتعاليه باد بين في طريقة العواد والعطار. أما من حيث المنهج فإن كتاب الديوان، والغربال متمثلان بعض التمثل في (المرصاد) للفلالي و(أمواج وأثباج) لأبي مدين مع اختلاف تقتضيه طبيعة الثقافة، والمبلغ من الدربة والاقتدار والأجواء الثقافية. أما مدرسة أبوللو وأساليبها النقدية فظاهرة بعض الظهور في كتاب (قراءات معاصرة) للرميح، وإن كان في إطاره العام مأخوذًا بالرمزية الألمانية."[1] وإن لم تكن هذه اللمحات التي استنتجها الهويمل ناتجة عن دراسة عميقة وتمحيص لأوجه الشبه والاختلاف بين نقاد مصر مع نظائرهم من نقاد المملكة إلا أنها رصدت هذا الإحساس بالتماثل والتقابل.

ورغم هذا الاحتذاء إلا أن استجابة النقاد السعوديين لأثر التجديد الذي هيمن على الثقافة العربية كان بعمق تلك القضايا، يقول الشنطي: "والراصد المدقق لما كان ينشر من مقالات في صحف ذلك العهد كصوت الحجاز – مثلاً ــ تدهشه تلك المعارك العنيفة التي تدور حول قضايا فنية تثار في الصحف المصرية أصلا فتتردد أصداؤها بعمق فيما ينشر من مقالات آنذاك ، ولا يعني ذلك ــ بحال من الأحوال ــ أن ما كان يثار من مسائل تتعلق بالتجديد كان مجرد أصداء باهتة لنظيراتها في مصر كما قد يتبادر إلى الذهن ، ولكنه كان يشكل استجابة عميقة لتلك القضايا مُشَخِّصةً لحالة نفسية ووضعية حضارية أملتها طبيعة المرحلة ، إذ مالبثت أن أفرزت الساحة الأدبية لذلك العهد موضوعاتها الخاصة وقضاياها الأصيلة"[2].

ثم بعد مرحلة التأثر تلك بدأ المثقفون في المملكة يمتازون باجتهاداتهم الثقافية ، يقول الهويمل: " قد أحس الأدباء في الحجاز أنهم شبوا عن الطوق وأن بإمكانهم أن يلتمسوا مصادر أخرى لا تغنيهم عن مصر ولكنها تضيف إليهم رفدًا وتمنحهم قدرة كما لم تكن أسس النقد العربي القديم هي وحدها التي انبعثت من التراث فطغت على الصوت النقدي وشكلت نغمته بل تسربت إلى البلاد مذاهب نقدية أخرى أخذ بها بعضهم عن

---

١) السابق:٢٧.

٢) الشنطي، النقد الأدبي المعاصر في المملكة العربية السعودية: ٥٠.

وعي تام أو عن تقليد واحتذاء"[١] ، يعني المصادر الغربية للتجديد. ومن أهم رواد النقد الأدبي الحديث في السعودية: محمد حسن عواد، إبراهيم الفلالي، عبد الله عبد الجبار، عبد الله بن إدريس، وغيرهم.

حتى نتصوّر طبيعة خطاب البدايات آنذاك يمكن أن نطلع على دراسة الساسي المشار إليها سابقًا، في "الأحكام النقدية عند جيل الرواد في الأدب العربي السعودي"، فقد وصف طبيعة هذه الأحكام في ثلاثة مباحث: أحكام نقدية مطلقة على الأدب القديم والمعاصر، هجوم أو تقريظ، محاولات نقدية مبنية على الدراسة لبعض الأعمال المعاصرة. فكرته مفادها أن الآراء النقدية بدأت بأحد مظهرين؛ إما أحكاما نقدية مطلقة، أو اتخذت شكل هجوم أو تقريض، وقد وصفها بأنها أحكام تعميمية مرتجلة، مشوبة بروح الحماس والاندفاع؛ مثل ما نراه عند العوّاد في كتابه (خواطر مصرّحة) ثم في كتاب (أدب الحجاز) الذي جمعه وحرره محمد سرور الصبان، و(نفثات من أقلام الشباب الحجازي)، و(وحي الصحراء). ولم تظهر المحاولات النقدية الجادة إلا في وقت لاحق.

أما النقد التراثي القائم على الفكر القديم فيُعد مرجعية مهمة للنقاد في العصر الحديث، وجاء في مقابله المحاولات الجديدة للتقدّم بالأدب والنقد، والتعرف على التقنيات الحديثة، فظهرت نتيجة لذلك المقارنة والمقابلة بين القديم والجديد. فلا تكاد تُبحث قضية من قضايا النقد القديم إلا في إطار التجديد والمقارنة بالجديد والمستحدث، أو إعادة الجديد إلى جذوره القديمة وتأصيله.

تقول لمياء باعشن في معرض حديثها عن حال النقد في المملكة في مراحله المبكرة: "... لكن الأديب السعودي حين جمع بين الجانب النظري النقدي وبين الإبداع كان يتلقى من متلقي، وينقل من ناقل، فالتنظير الذي يتبناه لا يصله إلا بعد مروره بمراحل اجتذاذ وتصفية وانتقاء وبلورة"[٢]. ونلتمس مما ذكرته أيضًا تأثير علاقة المثقفين الأوائل في المملكة بمصر، في كونها قبلتهم الثقافية، وكيف انعكس هذا الأمر على علاقتهم بالتراث.[٣] بل إن "واقع النقد السعودي الحديث ليس في نهاية المطاف سوى امتداد لواقع الثقافة في الأقطار العربية الأخرى بشكل عام"[٤].

١) الهويمل، "مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية": ٢٦.

٢) لمياء باعشن، "الاستيراد النقدي وافتقاد النمط الافتراضي–دراسة في بواكير النقد الأدبي السعودي"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر– ٢٠١٣م: ٢٢٩.

٣) انظر السابق: ٢٣٠.

٤) السابق: ٢٤٧.

وتصف الخطاب في النقد التطبيقي آنذاك بانعدام الموضوعية، وطغيان الانفعالات الانطباعية الساخرة، وسببه التمادي في المعارك النقدية في الصحف والمجلات.[١] وكذلك إشارتها إلى بداية الاتجاه التوفيقي الذي جاوز ما قامت به جماعة الديوان من محاولة إزالة الأنماط المتوارثة، ولكنه لم يقم بمشروع بنائي يحل محلها.

ثورة العوّاد:

جاءت المحاولات الحداثية الأولى لمحاولة الخروج عن رتابة النموذج التراثي القديم وجموده، هذا النموذج الذي يُعاد فرضُه، والذي يُعَدّ نموذجًا متعاليا لا يقبل المساءلة والمساس. وبشكل عام فإننا نجد أن العوّاد كان أول من نثر بذور التجديد في كتابه المدوي (خواطر مصرحة)، وتلك الثورة الفكرية التي كانت تجابه الفكر التقليدي السائد آنذاك، وقد عقد فصلا عن البلاغة العربية استدعى مشاعره وانطباعاته الذاتية في آرائه التي طرحها، واستعرضها بشكل إنشائي دراميّ. كما ادّعى بحثه الدائب عن هذه البلاغة في بطون الكتب وأشعار القدامى ومروياتهم حيث لم يجدها عندهم، وقد هدته ذائقته إلى أن يجدها في عدة مؤلفات حديثة كتبها أدباء عرب. وقد اختار للتعبير عن التقليديين الذين يختارون القديم البالي على الجديد المحدّث بتعابير رمزية ذات قيمة أيديولوجية، مثل: "الأدمغة العربية المطربشة والمبرنطة"[٢]، و"الرؤوس الغليظة ذات العمائم واللحى"[٣]. كما وصف كتب البلاغة بالسقم والبلى.

ويستغرب سحمي الهاجري أن "العواد لم يتعرض في الكتاب (للتابوهات) التقليدية، كما أنه يظهر التعظيم لثوابت الأمة الأساسية، ومع ذلك أثار كل هذه الضجة، مما يدل أن هناك من كانت لديه (تابوهاته) الصغيرة؛ مثل عدم التعرض لخزعبلات أصحاب الطرق الذكرية، أو للمصالح الطبقية والفئوية، في حين كان يطمح إلى تفكيك الخطاب المنتج لكل ذلك؛ لينشأ على أنقاضه خطاب تنويري جديد"[٤].

وقد لاحظ الغذامي أيضًا هذا الأثر الشكلي للتجديد عند العواد، يقول: "وكما أن العواد تمثّل الشعر الحر شكليًا وظاهريًا من دون روحه ونسقه فإن مشروعه كله على هذه الشاكلة، أي غاية ما وصل إليه هو الشكل الظاهري لقضية التجديد"[٥].

---

١) انظر السابق: ٢٤٣-٢٤٤

٢) محمد حسن عوّاد، خواطر مصرحة، بيروت، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط٢: ٢٠١٢م. صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٢٦م: ٧٤.

٣) السابق: ٧٤.

٤) ملتقى جماعة حوار، خطاب التنوير قراءات في مشروع التنوير النقدي والإبداعي في المملكة، تقديم وتحرير: حسن النعمي، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط١: ٢٠١١م: ٤٧.

٥) عبدالله محمد الغذامي، حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية، بيروت/الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٣: ٢٠٠٥م: ٥٨.

دور الصحافة والمعارك الأدبية:

نجد في الأرشيف الصحفي الذي يعود إلى القرن العشرين و بدايات القرن الواحد والعشرين المطبوعات الثقافية التي تخصص (ملاحق أدبية) تساهم بشكل أو بآخر في إبراز بعض الأدباء والنقاد وإظهار آرائهم وقضاياهم وإثارة الحوارات والنقاشات الصحفية حولها.

وتحت عنوان: "الخطاب النقدي والمؤثرات العربية والأجنبية"[١] تحدث القحطاني عن معالم الخطاب النقدي المبكرة، فقد ألمح إلى أن الصحافة هي الحاضن الحقيقي للنهضة الأدبية والفكرية، حيث قامت الصحافة السعودية على أنقاض الصحف في العهدين (العثماني والهاشمي) واستفادت من خبرات رجال الصحافة والأدب[٢]. وإن أبرز ملامح الفكر العلمي في الخطاب النقدي آنذاك أنه انقسم إلى ثلاثة أقسام: "الأول: الفكر الجامد التقليدي، والثاني: المحافظ المجدد، والثالث: الحديث الواعد"[٣]، فنشأ في تلك الفترة صراع بين الاتجاهين التقليدي والحداثي هذا الصراع تحوّل في بعض الأحيان من صراع حول الأدب إلى صراع حول العقيدة.[٤]

وفي المجمل فإنه يعتقد أن النقد "بدأ انطباعيًا على شكل مقالات صحفية، ضد بعض النصوص"[٥]، واستمر النقد في الحقب المتقدمة انطباعيًا حتى ظهر النقاد الأكاديميون في المشهد الثقافي، ومن أبرز الملامح التي رصدها القحطاني في نقدهم: التخلص من الانطباعية القائمة على المدح والقدح، وبروز مناهج النقد الأدبي الحديث التي استخدموها لمعالجة نصوصهم وأفكارهم.[٦]

وكذلك فإن الكتب النقدية المنشورة كان لها دور أساسي في نشر ثقافة النقد وتسليط الضوء على كتابات المبدعين المحليين من شعر ونثر،[٧]التي كان من أبرزها (خواطر مصرحة) للعواد، و(المرصاد) لإبراهيم فلالي، و(التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية) لعبد الله عبد الجبار. وما تلاها من كتب نقدية مؤثرة لأكاديميين سعوديين .

---

١) سلطان القحطاني، "المقدمات التاريخية للتحديث الأدبي والنقدي في المملكة"، علامات في النقد، ج١، مج١٩، ع٧٦، سبتمبر– ٢٠١٣م: ١٣٧.

٢) انظر السابق: ١٣٨.

٣) السابق: ١٣٩

٤) انظر: نايف بن إبراهيم كريري، "نادي جازان الأدبي ودعم حركة الحداثة في المملكة"، علامات في النقد، مج٢١، ع٨٥، ديسمبر–٢٠١٥م: ١٣٢.

٥) القحطاني، "المقدمات التاريخية للتحديث الأدبي والنقدي في المملكة": ١٤٩.

٦) انظرالسابق: ١٥٠.

٧) انظر: أحمد بن سعد السعد، رسائل الأدباء السعوديين في الأدب والنقد والحياة، من إصدارات النادي الأدبي بالرياض، ط١: ٢٠١٨م: ٥٤.

فترة التحولات:

تعود بداية هذا التحول أو "الانعطافة التاريخية في الحركة النقدية"[١] إلى فترة منتصف السبعينات الميلادية، والتي تواكب بدايات الطفرة الاقتصادية النفطية التي عاصرتها البلاد وكوّنت بها البنية الأساسية بما فيها المؤسسات التعليمية والثقافية، والجامعات والنوادي الأدبية والجمعيات الثقافية، وإيفاد العديد من الكفاءات العلمية والأدبية من دول عربية كمصر والأردن وسوريا وغيرها، بالإضافة إلى المنابر الإعلامية والصحفية، كما نشطت حركة النشر، وذلك كله مما غيّر خارطة الثقافة في المملكة بالانفتاح الثقافي الواسع، ونشوء تيارات أدبية جديدة.[٢]

ونلاحظ أن ثمة شبه اتفاق على أسباب الحركة الحداثية في المملكة، يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

١- الأكاديميون العرب كان لهم دور فاعل في توطين مفاهيم الحداثة في الجيل الجديد من النقاد والكتاب والشعراء.

٢- وجود عدد من أدباء الحداثة في الصحف حفّز الموجة الشبابية آنذاك على تجريب الكتابة[٣].

٣- الحراك الاجتماعي الذي صاحب تلك الحركة الثقافية.

ومن أبرز عوامل التحول في المملكة ما ناقشه محمد العباس في مقاله (جيل النظرية النقدية)[٤]، فبعد استعراضه لكتاب السريحي حول شعر أبي تمام وصف العباس النقد قبل السريحي بـ"المقاربات الانطباعية" وقد كانت هذه هي طبيعة النقد آنذاك؛ فقد كان المشهد المحلي "يخلو من أي دراسة علمية منهجية آنذاك". فحدث التحول نتيجة لانتشار النظرية النقدية بين أوساط النقاد في الثمانينات، وقد سمّى العباس ذلك الجيل بـ"جيل النظرية".

معركة الحداثة:

يمكن أن نلتمس النقلة النوعية المهمة جدا في تاريخ النقد في المملكة وهي بعد ما "جاء النقد الجديد ليستأثر بمعركة الحداثة. حين تم نقل سؤالها من الشعر إلى النقد"[٥]. أي تحول المسار من النقد الواقعي والفني البلاغي للقصيدة إلى مسار النقد والنظرية

١) الشنطي، النقد الأدبي المعاصر في المملكة العربية السعودية: ٥١.

٢) انظر السابق: ٥١.

٣) محمد العباس، "مقدمة لأثر الطبقة الوسطى في معركة الحداثة"، علامات في النقد، مج ٢١، ع٨٥، ديسمبر-٢٠١٥م: ٣٠٨.

٤) محمد العباس، "جيل النظرية النقدية"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر- ٢٠١٣م: ٢٨٩.

٥) محمد العباس، "مقدمة لأثر الطبقة الوسطى في معركة الحداثة": ٣١١.

النقدية[1]. وهذا التحول النقدي الحاصل يعني "أن حركة الحداثة صار لها ذلك البعد الفكروي المتمثل في الجهاز المفاهيمي الجدلي للنقاد"[2].

وفي هذا الصدد قام الغذامي في كتابه (حكاية الحداثة) برسم تصوّر لمعركة الحداثة في المملكة العربية السعودية، التي ظهرت في منتصف ثمانينات القرن الهجري الماضي؛ فقد انتقد الحركة الفكرية التي أفرزها الموقف المتحفظ للمجتمع المحلي آنذاك، وعدّ هذه المقاومة أمرًا طبيعيًّا؛ لما للجديد والطارئ –على حد تعبيره– من أثر في زعزعة النظام النسقي الذي يركن إلى الثبات والسكون، وقرنه بالنموذج النبويّ في ظهور الدعوة الإسلامية وآليات مقاومتها ورفضها في البيئة العربية الجاهلية.

ثم نجد أنه في حديثه التأريخي الذي قرأ فيه بدايات الحراك الثقافي في المملكة منذ زمن محمد حسن عوّاد، وحمزة شحاته حتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري، يصنّف تلك الفترة الغائبة عن المشهد الثقافي العربي بأنها (مرحلة التقليد والمحاكاة) لأسباب وعوامل اجتماعية كثيرة لم تواكب في تطورها التطور الهائل الذي حققه الملك عبدالعزيز على مستوى البنية التحتية للبلد.[3]

كما تصدّى الغذامي في سياق حديثه عن الجامعات وأثرها في التجديد والتغيير، وأن الجامعة في الغالب تقف ضدّ كل تغيير. فيؤكد أن التجديد والتغيير ينبع من الفرد في المقام الأول. وفي تحليله لتاريخ نشوء حركة الحداثة في المملكة إنما يشير إلى أن هذه الحركة خرجت من رحم الجامعة والمؤسسات التعليمية التقليدية، مع أفراد لهم تأهيل تراثي وعرفي، ومع ذلك فإن هؤلاء الأفراد هم الذين حازوا فضل التغيير الذي لم ينشأ من فراغ وإنما نشأ مع وعي بالأصول؛ فهو في رأيه تحديثٌ واعٍ.[4]

وقد عدّ الغذامي حركة الشباب الشعرية في أواخر الستينات من القرن العشرين محورًا مهمًّا في حركة التجديد، ثم يؤازرها ظهور غازي القصيبي في منتصف السبعينات على الساحة الثقافية. وكنتيجة طبيعية لهذا التحدّي المعلن للنسق ظهرت حركة تتصدّى لموجة القصيدة الحرة وتنافح عن القديم والأصيل.

وأشار إلى الدور المهم الذي كان للملحقات الأدبية في الصحافة السعودية، التي ساهمت بدورها في تسويق الوعي الحداثي، وتحوّل الحداثة من بعدُ إلى قضية اجتماعية

---

١) انظر السابق: ٣١٢.

٢) السابق: ٣١٢.

٣) انظر: الغذامي، حكاية الحداثة: ٦٧.

٤) انظر السابق: ٨٥.

حيّة. ثم دخول حركة الحداثة إلى مجال التأليف مما جعلها تتحول من كونها مشروعًا في التجريب إلى تراث جديد دخل إلى الذاكرة الثقافية وتوثّق فيها. وقد سمّى كل تلك العوامل بـــ (الرمزيات الثقافية) التي كان لها دور مهم في دفع الوعي الحداثي.

ما الحداثة؟

إن أشمل تعريف لمصطلح (الحداثة) نجده عند عبدالله العشي في مقاله الذي عنونه بـــ(مآزق التحديث في النقد العربي المعاصر)[١]، فهو يعد الحداثة "مشروعا تاريخيا ينمو بشكل متكامل مع تاريخ الثقافة ووسائلها المادية ومنجزاتها الروحية في إطار زماني ومكاني وفي سياقات حضارية معقدة بعضها واضح وبعضها خفي ويتراكم بالتدريج إلى أن يصل إلى حالة تسمى الحداثة. فالحداثة وضعية تاريخية تتوج مسيرة حضارية كاملة وليست نتائج علمية أو ثقافية يمكن أخذها وزرعها في بيئة أخرى"[٢].

كما أن من أشمل الدراسات التي تختصر الحديث عن زمن الحداثة في المملكة هي مقالة معجب العدواني بعنوان (الحداثة بساق واحدة: قراءة في فكر الثمانينات النقدي)[٣]، حيث تحدث عن بداية الموجة التي كانت مع صدور كتاب (الخطيئة والتكفير) لعبدالله الغذامي أولاً، فكتاب (الكتابة خارج الأقواس) لسعيد السريحي ثانيًا، ثم كتاب (ثقافة الصحراء) لسعد البازعي ثالثًا، وما تلاها من مقالات وندوات[٤].

وقد لمس محمد إبراهيم القاضي القلق الذي اعتور مصطلح الحداثة؛ فاتجه إلى تعريفه تعريفاً تداوليًّا، يقول: "أما من جهة المفهوم التداولي فللحداثة إجمالاً وجهان متقابلان، أحدهما إيجابي يتجلى في الأدبيات التي تربط الحداثة بالعقلانية والتطور والتجديد، وثانيهما سلبي تعبر عنه الكتابات التي ينزع أصحابها إلى تهجين الحداثة وجعلها مرادفة للكفر واللا أخلاقية والتنكر للتراث."[٥]

وناقش القاضي في هذا السياق ثلاثة مؤلفات يمثّل كلّ منها وجهة نظر مختلفة حول قضية التحديث النقدي في المملكة، ويخرج في نهاية عرضه بنتيجة مفادها أن كل كاتب منهم كان له خطاب يختلف في تعامله مع التحديث عن الآخر؛ ولخصها كما يلي:

---

١) عبدالله العشي، "مآزق التحديث في النقد الأدبي المعاصر"، علامات في النقد، ج١، مج ١٩، ع٧٦، سبتمبر-٢٠١٣م: ٧١.

٢) السابق: ٧٧

٣) معجب العدواني، "الحداثة بساق واحدة: قراءة في فكر الثمانينات النقدي"، علامات في النقد، مج ٢١، ع٨٥، ديسمبر-٢٠١٥م: ١٥٩.

٤) السابق: ١٦٢.

٥) محمد بن إبراهيم القاضي، "الحداثة النقدية في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والكونية"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر-٢٠١٣م: ٢٦٥-٢٦٦.

١- علاقة (التقابل) عند الغذامي[١]، ويقصد بذلك أن خطاب الغذامي قام على فكرة "التقابل والصراع بين التحديث والتقليد. فلا وجود لأحدهما إلا على أنقاض الآخر"[٢].

٢- علاقة (التوازي) عند الصفراني[٣] ، تقوم على مبدأ التوفيق؛ فلا تنقض التراث بل تستفيد من جهود السابقين دون أن تقطع الصلة بمنجزات العصر، ولكن "يصبح التراث جزءا لا يتجزأ من مشروع التحديث النقدي"[٤]

٣- علاقة (إعادة إنتاج الماضي) عند حمد الدخيل[٥]، وفيها يكون التراث هو الخطاب الوحيد المطروح، مع استبعاد التحديث الذي يأتي من بيئة أجنبية. فهو يطالب بأن "لا نقطع صلتنا بماضينا الأدبي والنقدي، وتراثنا اللغوي المتميز في غمرة الانبهار والإعجاب بموجات الحداثة التي يراها بعضهم فتحًا جديدًا في عالم الأدب والنقد والثقافة"[٦].

سمات مرحلة الحداثة:

وتتسم حركة الحداثة باعتبارها حركة ثقافية شاملة شهدتها حقبة الثمانينات في المملكة بعدة أمور ذكرها السريحي[٧] في مقدمة عدد مجلة علامات؛ من أبرزها:

أولا: أن هذه الحركة لم تتوقف عند التجديد في الشعر فحسب بل مضت لتشكّل معالم السرد في القصة والرواية، كما تبلورت معالمها فيما شهده الدرس النقدي من تطور في نظرته إلى الأدب قديمه وحديثه.[٨]

ثانيًا: بعد أن كانت الحركة الثقافية متمركزة في بعض المدن الكبيرة كجدة ومكة والرياض أصبحت ذات نطاق واسع يشمل كافة مناطق المملكة.[٩]

ثالثًا: اتخذت الحركة طابعًا مؤسساتيًّا بدعم الأندية الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون والصحافة.

رابعًا: نتج عنها حراك اجتماعي "شارك فيه أدباء ودعاة ووعاظ ومثقفون وإعلاميون"[١٠].

---

١) في كتابه (تأنيث القصيدة والقارئ المختلف).

٢)القاضي، "الحداثة النقدية في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والكونية": ٢٨٢.

٣) في كتابه (التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث).

٤) القاضي، "الحداثة النقدية في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والكونية": ٢٨٢.

٥) في كتابه (في خصوصية الأدب ومنهجه).

٦) حمد الدخيل، في خصوصية الأدب ومنهجه، الرياض، على نفقة المؤلف، ط١: ٢٠٠٨م: ٤٠.

٧) سعيد السريحي، "حركة الحداثة في الثمانينات"، علامات في النقد، مج ٢١، ع٨٥، ديسمبر-٢٠١٥م : ٥

٨) انظر السابق:٥

٩) انظر السابق: ٦

١٠) السابق: ٧

الخطاب النقدي المعاصر أو ما بعد الحداثة السعودية:

ثم انحسرت حركة التحديث في المملكة فيما بعد، فما المبرر الذي يمكن أن نفسر به هذا الانحسار، بعد أن كانت في أوج ازدهارها وقوتها؟ فقد أشار بعضهم إلى أن ردود الفعل الرافضة للتحديث من الشق المحافظ أدت إلى تراجع المد الحداثي، وكما يقول القاضي فإن هذه الحركة المضادة :"أدت إلى محاصرة حركة التحديث والسعي إلى إلجامها وعزلها بإخراجها من دائرة الثقافة، واتهام أنصارها بالخروج عن الملة وخدمة مشاريع تغريبية معادية للعروبة والإسلام"[١]. الأمر الذي خلق إشكالية كبيرة وفجوة في عملية التحديث كما يظن البعض، والسبب يعود في جانب كبير منه إلى التطرف في القبول والرفض، فكما أن هناك حركة مضادة للتحديث تتماهى مع التراث ولا تنظر إلى سواه، فإن هناك حركة مقابلة لها تركن إلى الاكتفاء بتلقي الحداثة واستهلاكها مما نتج عنه مواقف تختلف مع التراث وتحاول نقضه والبناء فوق أنقاضه.

ومن هنا نتجت الخطابات الواصفة للحداثة، والتي تأخذ منحى نقديًّا ثقافيًّا، يقول توفيق الزيدي: "نحن، إذن، في سياقنا العربي، إزاء حركتين تمثلت أولاهما في تلقي الحداثة، تكنولوجيا وفكريا، فإنتاج خطاب واصف للحداثة صدا أو قبولاً"[٢]. اتجهت تلك الدراسات إلى تحليل المشهد الثقافي والوقوف على التيارات الفكرية المختلفة، وكذلك ظهور محاولات التوفيق بين القديم والجديد من خلال اتخاذ مواقف تقوم على تأويل التراث والانتقاء منه.

وقد ظهرت حديثًا جماعة من المثقفين يجمعون رؤاهم وقراءاتهم حول قضية معينة فينشرونها في كتاب، وقد أطلقوا عليها اسم (جماعة حوار)[٣]. وقد ناقشوا مشروع التنوير في المملكة في سياق النقد والإبداع الأدبي، فوضعوا مفهوم (المحافظة) في مقابل (التنوير) في حدود السياق الاجتماعي؛ يقول حسن النعمي: "فالتنوير يتوجب حضوره في مقابل هيمنة لخطاب المحافظة. فهو تنوير وإضاءة لمفاهيم الانفتاح على الثقافات الأخرى، وتقبل لمفاهيم المجتمع المدني التي تستوجب تحرر الإنسان من التبعية القبلية والمذهبية والطائفية"[٤].

---

١) القاضي، "الحداثة النقدية في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والكونية": ٢٨٣.

٢) توفيق الزيدي، "إشكالية التحديث: قراءة التراث النقدي مشروعًا"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر-٢٠١٣م: ٩.

٣) انظر: خطاب التنوير: ٧. قدّم حسن النعمي لهذا الكتاب بتعريف ونبذة عما ألفته الجماعة؛ مثل: كتاب (الرواية النسائية)، وما نشرته مجلة الراوي من أوراق الجماعة، وهذا الكتاب الذي يجمع مراجعاتهم لخطاب التنوير في المملكة.

٤) السابق: ٧.

ولكن القراءة الحداثية جرّت الخطاب النقدي إلى منطقة مضطربة، يتردد فيها الناقد بين فتح الأفق للمناهج والنظريات الحديثة وبين جعل التراث هو الركيزة الأساسية للتحديث، فظهر نوع من الدراسات فيها تهويل للنتائج المتوصل إليها، و"عظمت في أعين نقاد الحداثة الوسائل التي استعاروها للقراءة فازدادوا استعراضًا لأنواعها، وتضخيمًا لفوائدها التحليلية"[١].

وربما يعود ذلك إلى الموقف العجيب للناقد العربي منذ بدايات التحديث النقدي إذ كان يفتش عن آخر المناهج والنظريات الغربية الحديثة ويبرزها من خلال النصوص العربية قديمها وحديثها، فقد تحدثت عنه نازك الملائكة وعابت عليه أنه "لا يرى في عملية النقد إلا ترفاً فكرياً ووسيلة يستعين بها على اللعب بنظريات النقد الأوروبي"[٢]، كما أوعزت هذا الأمر إلى عدم اهتمامه بمشاكل الشعر العربي بذاته لكي يضع الأسس الموضوعية المناسبة لنقده، وربما كان المقصد –كما تقول–:"أن يشغل نفسه بتطبيق النظريات الأجنبية على هذا الشعر بأي ثمن"[٣].

ولا يخلو هذا الرأي في جانب كبير منه من الصحة وبالأخص ما نلحظه في نطاق أبحاث الدراسات العليا التي يجريها بعض الطلاب لنيل الدرجة، فيحاول استجلاب المنهج من مصادره المترجمة أو عن طريق النقاد العرب الذين ألّفوا فيه، ثم يحلل النصوص الإبداعية على ضوئه. ولا يعني ذلك عدم وجود مكتسبات نقدية مهمة، ولكن نقول ثمة اعتساف في فرض المنهج أو تكييف النصوص وتأويلها لتتناسب مع نتائج تلك المناهج والنظريات الحديثة.

ويطرح السريحي بدوره اقتراحًا يدور في نفس الفلك في الفصل بين القديم والجديد، يقوم على مواجهة النصوص الإبداعية التي نهض عليها هذا النقد؛ فتكون النصوص الإبداعية نفسها هي "المصطرع" الذي يحدد خط المواجهة بين النقد القديم والنقد الجديد وليست المناهج والنظريات.[٤] ويمكن أن تكون هذه القضية بالذات محل بحث موسّع.

---

١) حميد سمير، "الحداثة المقلّدة في النقد السعودي الحديث–قراءة نقدية في تفكيكية الغذامي"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر–٢٠١٣م: ٣٣٢.

٢) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥: ١٩٧٨م: ٣٣٦.

٣) السابق: ٣٣٦.

٤) انظر: السريحي، "تكثيف اللغة الشعرية–قراءة في مبحث السرقات"، من أبحاث الندوة التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي، بعنوان: قراءة جديدة لتراثنا النقدي، عام ١٩٨٨م : ٧٥٢.

المراجع:

أولاً: الكتب:

- أمين، بكري شيخ: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥: ٢٠٠٦م.
- إنميرات، عبد العزيز: مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١: ٢٠١٣م.
- بن سِلم، أحمد سعيد: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عامًا ١٣٥٠هـ-١٤١٠هـ، من إصدارات نادي المدينة المنورة. القاهرة، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط١: ١٩٩٢م.
- خطاب، عزت عبدالمجيد: موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، المجلد الثامن، الدراسات والنقد الأدبي، الرياض، المفردات للنشر والتوزيع والدراسات، ط١: ٢٠٠١م.
- الدخيل، حمد: في خصوصية الأدب ومنهجه، الرياض، على نفقة المؤلف، ط١: ٢٠٠٨م.
- السعد، أحمد بن سعد: رسائل الأدباء السعوديين في الأدب والنقد والحياة، من إصدارات النادي الأدبي بالرياض، ط١: ٢٠١٨م.
- الشامخ، محمد بن عبد الرحمن: النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية من ١٩٠٠-١٩٤٥م، الرياض، دار العلوم، ط١: ١٩٧٥م.
- الشنطي، محمد: النقد الأدبي المعاصر في المملكة العربية السعودية -ملامحه واتجاهاته وقضاياه، حائل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط١: ٢٠٠١م.
- عبد الجبار، عبد الله: التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية، ط١: ١٩٥٩م
- عوّاد، محمد حسن: خواطر مصرحة، بيروت، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط٢: ٢٠١٢م. صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٢٦م.
- الغذامي، عبدالله بن محمد: حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية، بيروت/الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٣: ٢٠٠٥م.
- الفوزان، إبراهيم: الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، ج١ (القاهرة،مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١: ١٩٨١م.
- القحطاني، سلطان بن سعد:النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية-نشأته واتجاهاته، من مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط١: ٢٠٠٣م.

- الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥: ١٩٧٨م.
- مندور، محمد: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط: ١٩٩٦م .
- ملتقى جماعة حوار، خطاب التنوير قراءات في مشروع التنوير النقدي والإبداعي في المملكة، تقديم وتحرير: حسن النعمي، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط١: ٢٠١١م.

ثانيًا: المقالات:

- باعشن، لمياء: "الاستيراد النقدي وافتقاد النمط الافتراضي–دراسة في بواكير النقد الأدبي السعودي"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر– ٢٠١٣م.
- الزيدي، توفيق: "إشكالية التحديث: قراءة التراث النقدي مشروعًا"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر–٢٠١٣م.
- الساسي، عمر الطيب: "الأحكام النقدية عند جيل الرواد الأوائل في الأدب العربي السعودي" نُشرت المقالة في مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ١، عام ١٩٨٨م: ص١٧٣–١٨٩.
- السريحي، سعيد: "حركة الحداثة في الثمانينات"، علامات في النقد، مج ٢١، ع٨٥، ديسمبر–٢٠١٥م.
- – – – : "تكثيف اللغة الشعرية–قراءة في مبحث السرقات"، من أبحاث الندوة التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي، بعنوان: قراءة جديدة لتراثنا النقدي، عام ١٩٨٨م : ٧٥٢.
- سمير، حميد: "الحداثة المقلّدة في النقد السعودي الحديث–قراءة نقدية في تفكيكية الغذامي"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر–٢٠١٣م.
- العباس، محمد: "جيل النظرية النقدية"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر–٢٠١٣م.
- – – – : "مقدمة لأثر الطبقة الوسطى في معركة الحداثة"، علامات في النقد، مج ٢١، ع٨٥، ديسمبر–٢٠١٥م.
- العدواني، معجب: "الحداثة بساق واحدة:قراءة في فكر الثمانينات النقدي"، علامات في النقد، مج ٢١، ع٨٥، ديسمبر–٢٠١٥م.

- العشي، عبدالله: "مآزق التحديث في النقد الأدبي المعاصر"، علامات في النقد، ج١، مج ١٩، ع٧٦، سبتمبر-٢٠١٣م.
- القاضي، محمد بن إبراهيم: "الحداثة النقدية في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والكونية"، علامات في النقد، ج٢، مج٢٠، ع٧٧، نوفمبر-٢٠١٣م.
- القحطاني، سلطان: "المقدمات التاريخية للتحديث الأدبي والنقدي في المملكة"، علامات في النقد، ج١، مج١٩، ع٧٦، سبتمبر- ٢٠١٣م.
- كريري، نايف بن إبراهيم: "نادي جازان الأدبي ودعم حركة الحداثة في المملكة"، علامات في النقد، مج٢١، ع٨٥، ديسمبر-٢٠١٥م.
- الهويمل، حسن: "مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية"، مجلة الفيصل، ع ٢٣٣- مارس/أبريل ١٩٩٦م: ص٢٥-٢٧.